١٣ ـ شاعرنا العالمي

أبو العتاهية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

وأما عتابه فنذكر منه عتابه لصالح الشهرزوري ، وكان أبو العتاهية صديقاً له ، وآنس الناس به ، فسأله أن يكلم الفضل ابن يحيى البرمكي في حاجة له ، فقال له صالح : لست أكلمه في أشباه هذا ، ولكن حملني ما شئت في مالي ، فانصرف عنه أبو العتاهية ، وأقام أياماً لا يأتيه ، ثم كتب اليه :

أقلل زيارتك الصديق ولا تطل ... إتيانه فتلجّ في هجرانه
إن الصديق يلجّ في غشيانه ... لصديقه فيملّ من غشيانه
حتى تراه بعد طول مسرّة ... بمكانه متبرّماً بمكانه
وأقل ما يلقى الفتى ثقلاً على ... إخوانه ما كفّ عن اخوانه
وإذا توانى عن صيانة نفسه ... رجلٌ تنقص واستخف بشانه

فلما قرأ الأبيات قال سبحان الله ! أتهجرني لنبي إياك شيئاً تعلم أني ما ابتذلت نفسي له قط ، وتنسى مودتي وأخوتي ، ومن دون ما بيني وبينك ما أوجب عليك أن تعذرني ؟ فكتب اليه أبو العتاهية :

أهل التخلق لو يدوم تخلّقٌ ... لسكنت ظل جناح من يتخلق
ما الناس في الأمساك إلا واحد ... فبأيهم إن حصّلوا أتعلق
هذا زمان قد تعود أهله ... تيه الملوك وفعل من يتصدق

أي يطلب الصدقة كما قال في بيت آخر :

هذا زمان ألجّ الناس فيه على ... تيه الملوك وأخلاق المساكين

فلما أصبح صالح غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدثه بالحديث ، فقال له لا والله ما على الأرض أبغض إلى من اسداء عارفة إلى أبي العتاهية ، لأنه ليس ممن يظهر عليه أثر صنيعة ، وقد قضيت حاجته لك ، فرجع وأرسل إلى أبي العتاهية بقضاء حاجته ، فقال يشكره :

جزى الله عني صالحاً بوفائه ... وأضعف أضعافاً له في جزائه
بلوت رجالاً بعده في إخائهم ... فما ازددت إلا رغبة في إخائه
صديقٌ إذا ما جئت أبغيه حاجة ... رجعت بما أبغي ووجهي بمائه

ولم يكن أبو العتاهية كما قال الفضل ممن لا يظهر عليه أثر الصنيعة ، ولكنه كان يعاشر هؤلاء العظماء معاشرة الند للند ، لا كما كان يفعل غيره من الشعراء المستجدين عند هؤلاء العظماء ، وإنما كان البرامكة يكرهون من أبي العتاهية إيثاره الفضل ابن الربيع عليهم ، وهو منافسهم السياسي في دولة الرشيد ، وقد صحبه أبو العتاهية صحبة طويلة ، وما زال الفضل من أميل الناس اليه ، فلما رجع من خراسان بعد موت الرشيد دخل عليه أبو العتاهية ، فاستنشده فأنشد :

أفنيت عمرك ادبارا وإقبالاً ... تبني البنين وتبني الأهل والمالا
الموت هولٌ فكن ما شئت ملتمسا ... من هوله حيلة أن كنت محتالا
ألم تر الملك الأمسيّ حين مضى ... هل نال حيٌّ من الدنيا كما نالا
أفناه من لم يزل يُفني القرون فقد ... أضحى وأصبح عنه الملك قد زالا
كم من ملوك مضى ريب الزمان بهم ... فأصبحوا عبراً فينا وأمثالا

فاستحسنها الفضل ، وطلب اليه أن يعود اليه في وقت فراغه ليقعد معه ويأنس به ، فلما كان يوم فراغه صار اليه ، فبينما هو مقبل عليه يستنشده ويسأله فيحدثه اذ أنشده :

ولى الشباب فما له من حيلة ... وكما ذوائبي المشيبُ خمارا
أين البرامكة الذين عهدتهم ... بالأمس أعظم أهلها أخطارا

فلما سمع ذكر البرامكة تغير لونه ، ورأى أبو العتاهية الكراهية في وجهه ، فما رأى منه خيراً بعد ذلك . وقد حدث أبو العتاهية هذا الحديث الحسن بن سهل في دولة المأمون فقال له : لئن كان ذلك ضرك عند الفضل بن الربيع لقد نفعك عندنا ؛ ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ، وأجرى له كل شهر ثلاثة آلاف درهم ، فلم يزل يقبلها دارة إلى أن مات . وكان الحسن بن سهل فارسياً مثل البرامكة ، وكان الفضل بن الربيع عربي النزعة ، وقد انتهت تلك العصبية بين الفرس والعرب في هذه الدولة بضياع أمرها منهما معاً

ومن عتابه أيضاً ما كان منه لأحمد بن يوسف وكان صديقاً له

فلما خدم المأمون وخص به رأى منه جفوة فكتب اليه :

أبا جعفر إن الشريف يشينُه ... تَنَاهُبُهُ على الأخلاء بالوفر
ألم تر أن الفقر يُزجى له الغنى ... وأن الغنى يُخشى عليه من الفقر
فان نلت تيهاً بالقنى نلت من غنى ... فان غنائى فى التجمل والصبر

ومن شعره فى الاستعطاف إلى الرشيد وهو فى سجنه :

يا رشيد الامر أرشدنى الى ... وجه نجحى لاعدمت الرشدا
لا أراك الله سوءاً أبداً ... ما رأت مثلك عينٌ أحدا
أعن الخائف وارحم صوته ... رافعاً نحوك يدعوك يدا
وا بلائى من دعاوى آمل ... كلما قلت تدانى بعدا
كم أمنى بغدٍ بعد غدٍ ... ينفد العمر ولم أنل غدا

وأما الزهد والحكمة والمثل فهى الفنون التى استفرغ فيها جهده ، وأربى فيها على غيره ، ونظم فيها ما استفاده من أهل العلم من السنن وسير السلف الصالح ، وأشعاره فى ذلك لا مثيل لها لأنها مأخوذة من كتب الدين والسنة ، وما جرى من الحكم على ألسنة هذه الأمة . ومن بدائعه فى ذلك أرجوزته المزدوجة التى سماها ذات الأمثال ، وتبلغ فى الطول ما لم يبلغه شعر قبلها ، ويقال ان فيها أربعة آلاف مثل ، وهى تجديد عظيم فى الشعر العربى بهذا الطول البالغ فيها هذا المبلغ ، وبهذه القافية التى مكنت له من المضى فيها الى الحد ، وهذا ما ذكره منها صاحب الأغانى :

حسبك مما تبتغيه القوتُ ... ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا ... من اتقى الله رجا وخافا
هى المقادير فلمنى أو فذر ... إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القدرْ
لكل ما يؤذى وان قل ألمْ ... ما أطولَ الليل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله ... وخير ذخر المرء حسن فعله
إن الفساد ضده الصلاح ... ورب جد جرّه المزاحُ
من جعل النامَ عيناً هلكا ... مبلغكَ الشر كباغيه لكا
إن الشباب والفراغ والجِدَهْ ... مفسدة للمرء أىُّ مفسده
يغنيك عن كل قبيح تركه ... يرتهن الرأىَ الأصيلَ شكه
ما عيش من آفته بقاؤه ... تنغص عيشا كلُّه فناؤه
يارب من أسخطنا بجهده ... قد سرّنا الله بغير حمده
ما تطلع الشمس ولا تغيب ... الا لأمر شأنه عجيب
لكل شىء معدن وجوهر ... وأوسط وأصغر وأكبر
من لك بالمحض وكلٌّ ممتزجْ ... وساوسٌ والصدر منه تثلج
وكل شىء لاحقٌ بجوهرهْ ... أصغره متصل بأكبره
ما زالت الدنيا لنا دار أذى ... ممزوجة الصفو بألوان القذى
الخير والشر بها أزواج ... لذا نتاجٌ ولذا نتاج
من لك بالمحض وليس محضُ ... يخبث بعضٌ ويطيب بعض
لكل انسان طبيعتان ... خير وشر وهما ضدان
إنك لو تستنشق الشحيحا ... وجدته أنتن شىء ريحا
والخير والشر اذا ما عُدّا ... بينهما بَوْنٌ بعيد جدا
عجبت حتى غمنى السكوت ... صرت كأنى حائر مبهوت
كذا قضى الله فكيف أصنع ... الصمت إن ضاق الكلام أوسع

قال أبو الفرج وهى طويلة جداً وانما ذكرت هذا القدر منها حسب ما استاق الكلام من صفتها ؟

عبد المتعال الصعيدى

وزارة الأوقاف

اعـــلان

المساحة س	ط	ف	اسم الوقف	الناحية	أقرب محطة للوصول
١٦	١٣	٣٠٨	مصطفى باشا الجريدلى	حصة شبشير	طنطا

تشهر وزارة الأوقاف تأجير الأطيان الموضحة أعلاه على صفقة واحدة أو على صفقات حسب توجه الرغبة لمدة ثلاث سنوات من ١٥ / ١١ سنة ١٩٣٥ وحددت لذلك جلسة يوم ٣١ / ١٠ سنة ١٩٣٥ بمأمورية الأوقاف بطنطا فعلى راغب التأجير الحضور فى الميعاد المحدد ليقدم عطاءه مصحوباً بالتأمين اللازم وللوزارة الحق فى قبول أو رفض أى عطاء بدون ابداء الأسباب ؟